• رسالة برلين الشرقية

المؤتمر البرلماني الدولي يدين إسرائيل بالإجماع لقرار ضم القدس

حامد دنيا

أكتوبر

نجح المؤتمر البرلماني الدولي الـ ٦٧ – ١٠٠٪

نجح المؤتمر البرلماني الدولي رقم ٦٧ الذي انعقد على مدى عشرة أيام في برلين الشرقية ، وانتهى يوم الأربعاء الماضي – ٢٤ سبتمبر الحالي – مائة في المائة ، بقاعة الاجتماعات الكبرى لمبنى البرلمان الألماني . فشلت كل محاولات العراق ، وهي تتزعم دول الرفض حاليا ، في استصدار قرار بإدانة اتفاق كامب ديفيد ، أو بتجميد عضوية مصر في البرلمان الدولي ، أو أي قرار آخر ضد ثورتي ٢٣ يوليو و ١٥ مايو ..

لم يستطع نعيم حماد عضو البعث العراقي ورئيس وفدها أن يضحك على أحد في كل لقاءاته بأعضاء الوفود سواء كانت خلف الكواليس أو في صالات أو ردهات فندق بالاس ، وهو أعظم فنادق ألمانيا الديمقراطية ، حيث خصص لإقامة أعضاء المؤتمر . كان أكثر من ٧٥٪ من أعضاء المؤتمر قد تفهموا الموقف على حقيقته ، وفضلا لم يهاجم أحد مبادرة الرئيس السادات لزيارته للقدس أو اتفاق كامب ديفيد .. فشلت محاولات دول الرفض هذا العام ومن يسير وراءها وهم يعدون على الأصابع ، كما فشلوا في العام الماضي ، رغم محاولاتهم المستميتة وإغراءاتهم المتنوعة لعدد غير قليل من الأعضاء ، في المؤتمر البرلماني الدولي رقم ٦٦ الذي انعقد بكراكاس عاصمة فنزويلا .

ولأول مرة .. كانت لجنة وفد فلسطين – بوصفها دولة مراقبة – على لسان مندوبها خالد الحسن معتدلة في المؤتمر . لم يسب أو يزبد أو يقل كلاما غامضا .. بل إنه أيد مبدأ المفاوضات في إنهاء النزاع والخلافات الدولية بدلا من الاتجاه للحرب . وأصدر المؤتمر البرلماني الدولي قرارا بالإجماع بإدانة إسرائيل لقرارها بضم القدس العربية إلى القدس الشرقية واعتبارها عاصمة موحدة لإسرائيل ، طالب إسرائيل بالعدول فورا عن هذا القرار واحترام قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة الصادرة في هذا الشأن .

صدر القرار بناء على المشروع الذي قدمته الدول العربية . والأكثر من هذا كله .. فقد أيد لأول مرة اتفاقية كامب ديفيد ، منذ توقيعها .. أحد قادة المعسكر الشرقي .. أيدها الدكتور جيرهارد جيتنج نائب رئيس الدولة الألماني ورئيس الحزب الديمقراطي المسيحي ، وهو أحد الأحزاب المؤتلفة في الحكم حاليا ، كما أنه أيضا الرئيس السابق للبرلمان في ألمانيا الديمقراطية .. أيد نائب رئيس الدولة الألماني اتفاقية كامب ديفيد عندما قال في حديثه إلى الدكتور صوف أبو طالب الذي التقى به لمدة ساعة في مقر الحزب ، بناء على طلب نائب رئيس الدولة الألماني نفسه في يوم وصول الدكتور صوف إلى برلين .

قال د . جيرهارد جيتنج للدكتور صوف بالحرف الواحد : إن مبادرة السادات بزيارة القدس كانت شجاعة . إننا نؤيد مفاوضات السلام . ونشجب الحرب ، ولكننا نريد أن نشارك كل الأطراف المعنية فيها .

يقصد سوريا ومنظمة التحرير والاتحاد السوفيتي ، في المفاوضات .

وكانت هذه المقابلة التي طلب نائب رئيس الدولة الألماني فيها من الدكتور صوف أبو طالب أن يلتقي به مرة ثانية قبل عودتهم إلى القاهرة ليحث وسائل توطيد وتدعيم العلاقات الثنائية بين البلدين في جميع المجالات قد دارت على الوجه التالي :

د . جيرهارد الألماني : أرحب بكم . لقد زرت قبل ذلك مصر عدة مرات . والتقيت بالرئيس الراحل عبد الناصر ، كما التقيت بالرئيس السادات عندما كان رئيسا لمجلس الأمة .. إنني أتمنى أن أزور مصر ثانية ، وأن تقوى العلاقات بيننا وتعود إلى ما كانت عليه .

د . صوف أبو طالب : نحن نرحب بكم في أي وقت . وعلاقاتنا مفتوحة مع كل دول العالم شرقا وغربا . ومصر تستقبل دائما وفودا سياسية وبرلمانية من مختلف دول العالم .

د . جيرهارد : إننا مهتم بالسلام جدا . لأن تقدم بلادنا وأوربا عامة رهين بالسلام العالمي . ولابد من المحافظة على سياسة الوفاق ومؤتمر هلسنكي وضرورة الحد من التسابق في التسليح . إن الحد من التسليح سوف يؤثر بالطبع على الدول النامية . ستوجه أموال التسليح في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في هذه الدول .

وتحدث نائب رئيس جمهورية ألمانيا عن السلام في الشرق الأوسط وأكد اهتمام بلاده بضرورة انسحاب إسرائيل من كل الأراضي العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ .. وأنه يلوم على أمريكا للعربدة التي تقوم بها إسرائيل في المنطقة باعتبارها حليفتها ورئيستها في الشرق الأوسط .. ثم أثنى على مبادرة الرئيس السادات بزيارته للقدس ، ووصفها بأنها شجاعة .

د . صوف أبو طالب : كما أوضحت في المؤتمر البرلماني الدولي ، فإن مصر تستهدف إقامة سلام شامل ودائم في المنطقة يقوم على انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة وإقرار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما فيها حقه في تقرير مصيره .. وقد تصدينا للمشكلة الفلسطينية باعتبارها لب الصراع والنزاع في الشرق الأوسط . لأن انسحاب إسرائيل من سيناء لم يكن في يوم ما محل جدل أو مناقشة أو شك . ومن أجل ذلك قام الرئيس السادات بمبادرته التاريخية بزيارته للقدس فتحت مصر بذلك الباب نحو سلام شامل دائم في المنطقة . وكامب ديفيد هي إطار للعمل ، وتضمنت الكثير من النصوص حول قيام الفلسطينيين بانتخاب ممثلين لهم تقع على عاتقهم مسئولية البت في مصير الضفة الغربية وغزة بعد انتهاء فترة الانتقال .. وإن وجهة النظر المصرية في اتفاقية كامب ديفيد ، وتتفق معنا في ذلك أمريكا ، أن مانقوم به إسرائيل حاليا من بناء مستوطنات جديدة ، يعتبر من قبيل العقبات في طريق السلام ، ويخالف المواثيق الدولية . واتفاقية كامب ديفيد نفسها . كما أن القانون الأخير الذي أصدره الكنيست الإسرائيلي بضم القدس العربية إلى إسرائيل واعتبارها عاصمة لها ، يخالف كل المواثيق الدولية وروح كامب ديفيد ، لأن القدس العربية جزء من الضفة الغربية ، وغير صحيح أن هناك حقا تاريخيا لإسرائيل في القدس .. فيلاد دولة إسرائيل يبدأ منذ عام ١٩٤٨ طبقا لقرار الأمم المتحدة .. وإلا لتغيرت خريطة العالم .. وأنتم في ألمانيا الشرقية تدركون أحقية هذا الكلام لو رجعنا بالتاريخ إلى الوراء .. لو صحت حجة إسرائيل لما كانت هناك دولة ألمانيا الشرقية .

وقال الدكتور صوف أبو طالب رئيس مجلس الشعب المصري للدكتور جيرهارد جيتنج نائب رئيس الدولة الألماني .. أريد أن أسألك بصراحة :

– أثنيت على مبادرة الرئيس السادات بزيارته للقدس ووصفتها بأنها شجاعة ، والكل يعلم أن الرئيس السادات قام بهذه الزيارة لأنكي يثبت للعالم أنه شجاع . فهذه الصفة معروفة عنه منذ اشتراكه في ثورة يوليو وما تبعها من أحداث عظام .

إن الزيارة كان لها هدف سياسي وهو إقرار السلام الشامل الدائم الكامل في منطقة الشرق الأوسط وإسقاط حجة إسرائيل بأنها تمد يدها للعرب من أجل السلام ، ولكنهم يرفضون دائما ، ويهددون بأنهم سوف يلقونها في البحر .. ووضع الرئيس السادات في حقائبه التاريخي أمام الكنيست أسس هذا السلام الشامل .. وجاءت اتفاقية كامب ديفيد كأثر طبيعي لهذه الزيارة .. ومع كل هذه المسلمات .. فإن عددا من الدول الاشتراكية وكثيرا من الدول العربية التي ترتبطون بصداقتها تصف هذه الاتفاقية بأنها اتفاقية ثنائية تحقق سلاما منفردا ، مع أن واقع الاتفاقية يقطع بغير ذلك ، فكيف تفسرون هذا الموقف ؟

نائب الرئيس الألماني : إننا نصفها بأنها ثنائية لأنها انعقدت بين أطراف ثلاثة : مصر وإسرائيل وأمريكا . ولم تشترك فيها بقية الأطراف المعنية .

د . صوف : لعلك تذكر أن الرئيس السادات وجه الدعوة إلى مؤتمر عقد في القاهرة عقب المبادرة مباشرة في مينا هاوس ، دعا إليه كل الأطراف المعنية ولكنهم رفضوا الحضور وظلت أماكنهم شاغرة في المؤتمر . وكان ذلك قبل توقيع اتفاقية كامب ديفيد . وإزاء ذلك لم يكن أمام مصر من سبيل سوى الاستمرار في طريق السلام من موقع مسئوليتها العربية . وجاءت كامب ديفيد من الناحية الموضوعية مؤكدة للسلام الشامل الدائم في المنطقة ، ونصت صراحة على أن ماورد في هذه الاتفاقية يسري بالنسبة لكل الأطراف المعنية ، إذا ماانضمت إليها ورغبت في مباحثات السلام . ولو كانت الأطراف المعنية حضرت مؤتمر القاهرة لكان من المحتمل ألا يثور هذا الجدل الذي لامعنى له حول طبيعة كامب ديفيد .

د . جيرهارد : هذا فعلا حدث . ولكن عدم انضمام الأطراف المعنية لمؤتمر القاهرة ١٩٧٧ كان نابعا من إحباطهم بعدم الثقة في نوايا إسرائيل ورغبتها الجدية في إقرار السلام .

د . صوف : مادام الأمر كذلك .. إذن فالسبيل إلى إقرار السلام في الشرق الأوسط عن طريق التفاوض مع إسرائيل . ولايكون هناك سوى حل واحد لإنهاء الصراع في الشرق الأوسط وهو الحرب .. فهل هذا هو مانتصحون به ؟

نائب الرئيس الألماني : لا .. نحن لانتصح بالحرب ، ولانقر الحرب كوسيلة لإنهاء المنازعات وإننا دائما ننادي بأن الوسائل السلمية هي الطريق الوحيد لفض المنازعات .

د . صوف : ماذا تقترحون إذن من جانبكم كوسيلة سلمية لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي في المنطقة ، علما بأننا من جانبنا قد وقعنا اتفاقية كامب ديفيد كخطوة أولى في سبيل إنهاء النزاع سلميا ، ورغم أن الدول الاشتراكية تعارضها ، وكثير من الدول العربية ترفض الانضمام إليها "

الدكتور محمد عبد اللاه نائب رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشعب وخلفه المستشار ابراهيم الشربيني أمين عام المجلس

وأنتم بحكم صداقتكم الوطيدة للعرب عليكم إقناع بعض اصدقائكم العرب الذين مازالوا يرددون نغمة إلقاء إسرائيل فى البحر .. بأن الوسائل السلمية هى الوحيدة لحل الصراع العربى الإسرائيلى . أما من ناحية اتفاقية كامب ديفيد كخطوة أولى لحل الصراع .. فإنى أتصور انطلاقا من مبدأ حل الصراع بالسبل السلمية ، أنكم تناقشون الاتفاقية وتعلنون موافقتكم على مايروقكم فيها من بنود ، وترفضون مالاترضون منها من بنود ، وتتحفظون على مانرون التحفظ عليه من بنود .

أما رفضها ككل دون مناقشة فإنه يقع على عاتقكم انطلاقا من مبدأ حل الصراع بالطرق السلمية أن تقترحوا بديلا لاتفاقية كامب ديفيد ، خاصة أن مصر قد أعلنت مرارا أنها على استعداد لأن تقبل أى حل سلمى يقترحه الإخوة العرب يحقق أفضل مما حققته كامب ديفيد وعليك حينئذ أن تدلى على البديل الذى تراه أصلح من كامب ديفيد .

نائب رئيس الدولة الألمانى : إن إسرائيل ليست راغبة فى السلام ، وتشجعها فى ذلك أمريكا .. والسبيل الأمثل للضغط على إسرائيل هو فى عودة التضامن العربى .

د . صوف : وماهو تصورك لهذا التضامن ؟ كيف يعود ؟

د . جيرهارد جينتج : علينا أن نبحث عن طريقة أو وسيلة أو صيغة .

د . صوف أبو طالب : بصراحة .. ألا ترون معى أن موقف الدول الاشتراكية ودول الرفض العربية .. يقتضى عدم الاكتفاء – إذا كنا نريد حلا للصراع العربى الإسرائيلى من منطلق الأسلوب السلمى والتضامن العربى – بتصريحات مجرد الإدانة لإسرائيل دون اتخاذ أى إجراء إيجابى ضدها أو للضغط عليها حتى تغير من مسلكها ؟

نائب الرئيس الألمانى : نحن نعمل مافى وسعنا لإقناع الدول العربية بضرورة الاتجاه للوسائل السلمية .

د . صوف : هناك العديد من الوسائل ، وأنتم لاشك تعرفونها ، وعلى سبيل المثال ، إن الدول العربية المنتجة للبترول تستطيع أن تستعمل سلاح البترول كوسيلة للضغط ، كما أن الدول الاشتراكية ، بما لها من علاقات اقتصادية مع إسرائيل تستطيع أيضا أن تستعمل العديد من الأساليب .

وانتهى هذا اللقاء الهام بين الدكتور صوف أبو طالب رئيس مجلس الشعب المصرى وبين الدكتور جيرهارد جينتج نائب رئيس الدولة الألمانى .. بعد أن تواعدا على اللقاء مرة ثانية مع كل أعضاء الوفد البرلمانى المصرى فى المؤتمر البرلمانى الدولى رقم ٦٧ .. حضر اللقاء صلاح أبو جبل سفيرنا فى برلين الشرقية .

وقد أشاد الدكتور جيرهارد جينتج بالدور الذى يقوم به فى سبيل تدعيم العلاقات بين مصر وألمانيا الديمقراطية .

نعود إلى اجتماعات المؤتمر البرلمانى الدولى رقم ٦٧ كان على رأس القرارات التى أصدرها المؤتمر بالإجماع قرار إدانة إسرائيل لإعلانها ضم القدس العربية إلى إسرائيل واعتبارها عاصمة موحدة لإسرائيل .. طالب أعضاء المؤتمر بالاجماع .. ألف عضو .. أن تنسحب إسرائيل من كل الأراضى العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ .. وكان القرار استجابة للمشروع الذى قدمته الدول العربية ..

واستجاب المؤتمر للمشروع الذى قدمته الدول العربية بإيعاد منطقة الخليج عن الصراع العالمى فأصدر توصية بذلك . كما أصدر المؤتمر قرارا جاءيا طالب فيه السلطات الإيرانية بالإفراج فورا عن الرهائن الأمريكيين المحتجزين فى السفارة الأمريكية بطهران .. وأدان المؤتمر الغزو السوفيتى لأفغانستان .. وأصدر المؤتمر عدة قرارات بخصوص الحد من التسلح والتسابق عليه ، والتنمية والاكثار من المساعدات للدول النامية .. استغرقت جلسات المؤتمر عشرة أيام صباحا ومساء ، وكان بعضها يمتد إلى منتصف الليل .

صفق الأعضاء لكلمة الدكتور صوف أبو طالب رئيس مجلس الشعب فى المؤتمر .. وهو يفند ادعاءات الذين يصفون اتفاق كامب ديفيد بأنه صلح منفرد ، وعددهم لايتجاوز عشر عدد أعضاء المؤتمر المكون من ٧٥ دولة البالغ عددهم نحو ألف عضو ..

ولقد نجح المؤتمر البرلمانى الدولى المنعقد فى برلين هذا العام بشكل لافت للنظر لدرجة أن ممثل فلسطين خالد الحسن – ووفدها يحضر المؤتمر بوصفه مراقبا – أيد مفاوضات السلام ، لم يعترض عليها ولكنه أبدى تحفظا عليها قائلا : إن من حق مصر أن تفاوض فيما يتعلق بسيناء ، ولكن مصير فلسطين يجب أن يقرره الفلسطينيون أنفسهم عن طريق المفاوضات أيضا .. وهذه فى الحقيقة نغمة جديدة لأول مرة ..

ولقد رد الدكتور صوف أبو طالب على هذه النقطة قائلا : إن أحدا لايستطيع أن ينكر أن مصر ادعت لنفسها أنها تتحدث باسم الفلسطينيين ، ولكن كما قال الرئيس السادات فى المحافل الرسمية وفى كل المقامات والمناسبات ، أكد أن مصر باتفاق كامب ديفيد إنما تريد تخليص الفلسطينيين من الاحتلال الإسرائيلى فقط ، وتمكينهم من ممارسة سياستهم على أرضهم .. عندما تتحقق هذه النقطة سيوضع الفلسطينيون على الطريق السليم ، وسيقولون هم أمرهم بأنفسهم ..

ولقد كان الدكتور صوف أبو طالب موضوعيا عندما رد على النقطة التى أثارها واحد أو اثنين من دول الرفض بأن مفاوضات السلام قد تعثرت ، بقوله .. إن المفاوضات تعثرت لعاملين أساسيين ظهرا بعد توقيع اتفاق كامب ديفيد وهما :

١ – الغزو السوفيتى لأفغانستان : ومايترتب عليه من تهديد سلام المنطقة وخلق حالة من التوتر فيها ، وخاصة منطقة الخليج .

٢ – المواقف المتعنتة بل الاستفزازية من جانب حكومة إسرائيل فى مفاوضات الحكم الذاتى ، والاستمرار فى سياسة إقامة المستوطنات .. وآخر هذه الاستفزازات قرار إسرائيل بضم القدس العربية إلى إسرائيل .. وقد أدانت مصر كل هذه التصرفات فى حينها ومازالت تستنكرها .

ولقد رد الدكتور صوف أبو طالب على حجة إسرائيل القائلة بأن تعثر مفاوضات السلام يرجع إلى رفض العرب لاتفاقية كامب ديفيد هو غير صحيح .. لأن السبب الحقيقى لرفض العرب لاتفاق كامب ديفيد يرجع من ناحية إلى موالاة بعضهم لموقف الاتحاد السوفيتى من الاتفاقية ، ويرجع من ناحية أخرى إلى أن بعض الدول العربية يرون فى تصرفات إسرائيل دليلا على عدم جديتها وعدم رغبتها فى إقرار سلام شامل يضمن الحقوق المشروعة للفلسطينيين .. ولذلك فمن المتوقع أن ينضم العرب لاتفاقيات السلام إذا ماوصلت المباحثات مع إسرائيل إلى نتائج إيجابية .

□□□ ولقد نجح الوفد البرلمانى المصرى بطريقة ملموسة لدرجة أن أعضاء الوفود الأفريقية احتاروا الدكتور محمد عبد اللاه رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشعب ليقوم بأعمال الترجمة من اللغة الانجليزية إلى الفرنسية ، وبالعكس ، بين المجموعتين الأفريقية الإنجليزية والفرنسية .. ولقد تطوع الدكتور عبد اللاه لمدة ساعة كاملة كان لها أثرها الطيب من جانب كل أعضاء المجموعة الفرنسية .

إن الوفد البرلمانى المصرى قد خطط للمؤتمر البرلمانى الدولى رقم ٦٧ قبل سفره إلى المانيا الشرقية بوقت طويل . اجتمع أعضاء الوفد وهم الأساتذة محمد عبد المجيد رضوان وكيل المجلس وإبراهيم شكرى زعيم المعارضة ومحمد عبد اللاه رئيس لجنة الشئون الخارجية وحافظ بدوى رئيس اللجنة التشريعية بالمجلس وكمال الشاذلى الأمين المساعد للحزب الوطنى الحاكم وفتح الله رفعت رئيس اللجنة الاقتصادية والدكتور محمد الدكرورى رئيس لجنة الخطة والموازنة وحسن حافظ وكيل لجنة الشئون العربية والدكتورة فرخندة حسن عضو المجلس . والمستشار إبراهيم الشربينى أمين عام المجلس .

اجتمع أعضاء الوفد عدة مرات برياسة الدكتور صوف أبو طالب للتنسيق ولتوزيع الأدوار فيما بينهم . اختار كل منهم موضوعا محددا مدرجا بجدول الأعمال .

اختار محمد رضوان موضوع عدم الانحياز ، والدكتورة فرخندة التنمية والعلاقات الاجتماعية ، والدكتور عبد اللاه الشئون الافريقية ، وحسن حافظ شئون اللاجئين .

وقد اعتذر عن عدم السفر الأستاذ كمال الشاذلى بعد تعيينه أمينا مساعدا للحزب الوطنى لانشغاله فى الإعداد لانتخابات مجلس الشورى ، كما اعتذر أيضا فى آخر لحظة الأستاذ حافظ بدوى ..

ولقد نجحوا وأصابوا المرمى تماما .. بقيت فى ملاحظات أو تساؤلات :

لماذا لايحاول مصر من الآن أن تعد العدة لأن يعقد مؤتمر برلمانى عالمى فيها على هذا المستوى – يحضره من ٧٥ إلى ١٠٠ دولة وأكثر من ألف عضو .. كلهم برلمانيون لهم دور تشريعى كبير فيها .. لماذا لانعد من الآن لتعقد المؤتمر البرلمانى رقم ٧٠ أو ٧١ أى بعد ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات . فى مصر ؟

لقد سألت هذا السؤال الكبير لكل أعضاء الوفد المصرى .. وجميعهم قيادات برلمانية ممتازة .. وكانت إجابتهم كلها واحدة . نعم . يجب أن يعقد هذا البرلمان .. إن عقده سوف يفيد مصر عالميا إلى درجة تفوق الوصف أولايمكن أن تقدر بمال .

ولما سألت : ولماذا إذن يمنع من عقد هذا المؤتمر ؟

وكانت – مع الأسف – إجابتهم كلهم : الإمكانيات غير مثيلة ..

وأنا أقول : أية إمكانيات .. عندنا الجامعة .. وإذا كانوا لايريدون قيام المؤتمر البرلمانى فيها .. فلماذا لانقيم مصر قاعة دولية للمؤتمر كالتى نراها فى كل بلاد العالم الآن ؟ ..

إنى أطرح هذا السؤال الكبير ، لأنى وجدته يتفاعل فى نفس كل شخص ، ولكنه لايستطيع أن يبوح به .. إنى واثق أن السيد الرئيس السادات ، وهو راعى الحرية ومحقق سيادة القانون ، سوف يعطى التوجيهات لمناقشة هذا الاقتراح ..